

نظرة جديدة في رؤية ابن خلدون في اللغة واكتسابها

سالم محمد عيبلو - جامعة مصراتة - ليبيا

s.aiblu@art.misuratau.edu.ly

مُلخَص:

الاهتمام باللغة دراسة وتعلّما ظاهرة ضاربة في القدم، والسبب يرجع إلى طبيعة اللغة كأداة من أدوات الاتصال ووظيفتها الاجتماعية التي جعلت منها شرطا من شروط وجود الجماعات، ومرجعية تعتمد عليها الجماعات لتضمن وحدتها واستقرارها، وقد اهتم بها عبر تاريخ الانسانية الطويل الفلاسفة واللغويون والتاريخيون وغيرهم يوضحون دورها وأهميتها، ويضعون لها القوانين التي تكفل استمرارها وتسهل تعليمها وتحد من تطورها؛ واستحالتها إلى أخرى.

البحث الذي نقدمه يشتمل على نظرة فاحصة لرؤية الفيلسوف والمؤرخ العربي الشهير عبد الرحمن بن خلدون وفيه بيّنا مفهوم اللغة لديه، وأهميتها، ومواقع تأثيرها وطريقة اكتسابها، وأسباب تطورها، وهذه القراءة واحدة من محاولات التفكير المتعددة التي تتناول بعضا من التراث اللغوي العربي. والتي هي وبلا شك دليل على رسوخ التراث وقوته وهي مع غيرها من دراسات في التراث تبث للتراث ديمومة وجوده، وتعدد تفسيراته، بتعدد القراء والمتقبلين كما هي محاولة لقراءة التراث على ضوء ما تحقق من جديد في تعليم اللغات.

الكلمات المفتاحية: اكتساب اللغة، وظيفة اللغة الاجتماعية، الشعور، الإدراك، الحفظ، الفهم، الاستخدام.

مقدمة:

ابن خلدون شخصية مهمة من شخصيات الثقافة العربية الإسلامية وكتابه الموسوعي المقدمة يعد من بين أوسع وأشمل ما ألف في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، وقد ظل لهذا المؤلف أثره البين من يوم كتابته حتى يوم الناس هذا، وقد استفاد منه الدارسون من العرب وغيرهم فقد اهتم به المختصون فترجم (الكتاب) مقدمة ابن خلدون إلى كثير من لغات العالم الحيّة، وهو كتاب غني بالمعلومات والإشارات تناول العلوم وتواريخها والظواهر الإنسانية الاجتماعية وأسباب تاريخ الاستلام: 2021/04/18 تاريخ النشر: 2021/06/01

ظهورها، وكان أساساً و مصدراً لكتابات موسعة وتنظيرات مهمة في مجالات مختلفة ولاحظنا أنه أولى الظاهرة اللغوية اهتماماً خاصاً، فتناول بعضاً من قضاياها كأدوات اكتسابها، والظروف التي تساعد على ازدهارها والأسباب والعوامل التي قد تعصف بها وتسبب موتها، كما أنه أولى عملية التعلم بشكل عام واكتساب اللغة العربية بشكل خاص اهتماماً بيّناً فخصص لها باباً في مقدمته عدا ما ذكره من ملاحظات متفرقة في كتابه تخص التعليم وطرقه، فأردنا أن نبين موقفه ونشرح منهجه ونبين طريقته ونظرتة، وإن كنا قد سبقنا في دراسة الموضوع فإننا حاولنا جادين تجاوز ما وجدنا إلى جديد نختص به زيادات أضفناها وطريقة اخترناها تحصلت من مطالعة الكتاب وما كتب في تعليم اللغات من مناقشات واقتراحات نغني بها البحث لتحفظ له أصالته وتبرر وجوده. وهذا البحث يندرج في مجال علم اللغة والدرس اللساني الحديث وهذا الدرس كما هو وصفي، ونظري، وعام، وفلسفي، وتاريخي، هو أيضاً تطبيقي وأهم موضوعات هذا القسم الأخير اللغات وطرق اكتسابها، والعيوب النطقية وكيفية معالجتها، وهي مواضيع لم تخل منها الأبحاث التقليدية والدراسات التراثية وهذا البحث يقرأ جهود ابن خلدون فيوضحها كما يقارنها أحياناً بما جد في الدرس اللساني الحديث. وهي دراسة توضح تاريخ الأفكار وطريقة كل واحد ورؤيته في تعلم اللغات وما اختلف به وتميّز به.

مفهوم اللغة عند ابن خلدون

اهتم ابن خلدون باللغة ظاهرة، فحدّها في مقدمته، وكان يرى أنها (ملكة في اللسان) تحصل بعد طول تأمل ومران، فقال: "اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها". ابن خلدون، 2000، ص: 358.

ويرى ابن خلدون أن الملكة مهارة ثابتة تكتسب عن طريق التعلم، سواء تعلق الأمر باللغة أم بغيرها من الصنائع، وهي أي الملكة صفة راسخة يكتسبها الإنسان عن طريق التدريب حتى تصير طبعاً فيه، ويساعد على تمكنها حسب رأيه التكرار والممارسة. قال ابن خلدون: "والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولاً، وتعود منه للذات صفة ثم تتكرر فتكون حالاً، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة". ابن خلدون، 2000، ص: 358. فبين ابن خلدون أن الملكات مكتسبة، وتحقق اكتساب اللغة ملكة، وأن اكتسابها يمر بمراحل و درجات تترقى بسبب التراكم يمكن ملاحظة بداياتها التي تبدأ منها وغاياتها التي تصل إليها. ومن خلال ما دون من إشارات، نستطيع الجزم بأن ابن خلدون كان على وعي تام بأن اللغة لها قانونها الذي يحكمها، ومنطقها الذي تسيّر عليه، وهي عنده تتكون من مستويات عديدة: صوتية،

وصرفية، ونحوية ودلالية، وأنها تتطور، وأن التطور في التراكيب أكثر منه وأسرع في موضوعات اللغة: "فنحن نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب لم تزل في موضوعاتها الأولى". ابن خلدون، 2000، ص: 359. وقال في الباب الذي خصصه لعلوم اللسان العربي: "وعلوم اللسان العربي أركانه أربعة: وهي اللغة والنحو والبيان والأدب... والذي يتحصل أن الأهم المقدم هو النحو، إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيُعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الإفادة". ابن خلدون، 2000، ص: 352. وقال: "وكان من حق علم اللغة - ويقصد به المعجم - التقدم لولا أن أكثر الأوضاع باقية في موضوعاتها، لم تتغير بخلاف الإعراب الدال على الإسناد، والمسند، والمسند إليه فإنه تغير بالجملة ولم يبق له أثر فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة، إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة وليس كذلك اللغة". وهو هنا يقصد باللغة المعجم ودلالة الألفاظ المفردة، ويرى أن التطور فيها والتغير أقل منه في مستوى التراكيب، وهو بهذه النظرة يرى أن التعليم لا بد أن يتعلق بما يجهله المتعلم، فهو بهذا يخاطب الناطقين باللغة ابتداءً وسوف نرى أنه يعدّ اللغة الفصحى (لغة مضر) لغة ثانية وأن اللغة المنطوقة في عصره هي لسان آخر، فهي إذن لهجة من اللهجات التي تفرعت عن العربية الفصحى. انظر ابن خلدون، 2000، ص: 352.

وهو هنا في هذه الجهة يخالف أبا عثمان المازني ت 249 هجرية صاحب كتاب التصريف وابن جني المتوفى سنة 392 شارح كتاب المازني السابق، من جهة التنظير. فقد كانا صرحا بأهمية علم الصرف الذي موضوعه الكلمات وأنه يجب أن تتقدم معرفته على علم النحو. فقد أشار ابن جني في شرحه لكتاب التصريف للمازني أن على طالب النحو أن يبدأ بتعلم الصرف، قبل أن يتوجه إلى تلقي النحو، وبين أن موضوع الصرف إنما هو لمعرفة أنفس الكلمات الثابتة والنحو، إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة. قال: "وإذا كان كذلك، فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف؛ لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن تكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة، إلا أن هذا الضرب من العلم، لما كان عويصاً صعباً بدئاً قبله بمعرفة النحو، ثم جيء به بعد؛ ليكون الارتياض في النحو موطناً للدخول فيه ومعينا على معرفة أغراضه". ابن جني، 1999: 34.

والحق أن دراسة اللغة أي لغة لا يتصور نجاحها دون المقاربة الصوتية والصرفية، وقد صرح لسانيون مهتمون بتعليم اللغة بأنه من غير الممكن أن نتصور درسا للغة دون معرفة أصواتها وحفظ شئ من كلاماتها ومعرفة دور الكلمات داخل النص. فظهر أن المازني وابن جني اتفقوا في الجانب التطبيقي، وأنهم يصفون حالة حاضرة تخص اللغة العربية في زمنهم، وأنهم يقدمون دراسة تاريخ الاستلام: 2021/04/18 تاريخ النشر: 2021/06/01

النحو أي دراسة ما يتعلق بالجملة والتراكيب على الدرس الصرفي لغموض الصرف كعلم وأهمية النحو كمطلب. فاتضح أنهم يعنون من يعرف اللغة المستهدفة أو إحدى لهجاتها ابتداء، ويحتاج أن يعرف منطق اشتغالها ونظام دلالتها. إذ لو كانت اللغة المستهدفة مجهولة بالكلية لمن يتعلمها لكان في البداية يتعلم نحوها قبل أصواتها ومعرفة بنياتها الصرفية شيء من المغامرة.

كما يتضح لنا من نصوص ابن خلدون أنه كان على وعي بأن للغة نظاما مركبا من عدة جوانب، الجانب الصوتي، والصرفي، والنحوي وأن لها جانبا معرفيا، وآخر لغويا فصرح أن للغة ألفاظا تختلف باختلاف اللغات، تدل على معان لا تختلف باختلاف اللغات، وبيّن في الفصل الذي خصه لصناعة النظم: "أن لسان ملكة من الملكات في النطق، يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان، حتى تصل شأن الملكات. والذي في اللسان والنطق إنما هو الألفاظ وأما المعاني فهي في الضمائر". ابن خلدون 2000، ص: 372.

وهذه الملاحظة توضح أنه يتكلم على حضور الكلام على مستويين اثنين، وهي فكرة قديمة حاضرة في الفكر العربي يصطلح عليها بـ: المعنى واللفظ، وهو ما عرف مؤخرا في تفسير بعض السانين للبنية العميقة والسطحية مبدأ قال به اللساني الأمريكي تشومسكي رائد المدرسة التحليلية، وطبقه الباحث العرب على تراث العربية. تمام حسّان، 2001، ص: 45. ومع هذا التعدد في الأنظمة الذي تشتمل عليه اللغة بأنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، ومن بنى تحتية وفوقية فقد رأى ابن خلدون أن معيار حصول الملكة في اللغة "إنما هو بالنظر إلى التراكيب وليس ذلك بالنظر إلى المفردات" ابن خلدون، 2000، ص: 358. فاللغات ليست قائمة من المفردات فحسب، فحفظ المفردات والحالة هذه لا يعين بمفرده على حصول الملكة، والعلم باللغة بها يحصل من معرفة تركيب الألفاظ المفردة وطريقة استخدام اللغة لها والربط بين مفرداتها للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال. انظر ابن خلدون، 2000، ص: 358. فهو هنا يشير إلى المعرفة العلمية للكلام، وطريقة عمل اللغة، أي: "تأليفها بين الألفاظ". وهذا الاتجاه التزمه أصحاب المدرسة التوليدية حين ركزوا على المستويات القصوى في الكلام وتجسّمها التراكيب والجمال. المسدي، 1979، ص: 223.

وقد رأى عبد السلام المسدي أهمية البداية من الجمل من أجل اكتساب اللغات، قال في كتاب المباحث التأسيسية: "كذا نزع من أي نظرية في تعليم اللغة العربية للناطقين بها ابتداء وغير الناطقين سنبقى ضعيفة المرود مالم تنطلق من نظرية تركيبية تتخذ الجملة منطلقا لها ومصبا لبحوثها" المسدي، 1979، ص: 230. ومن تاريخ الاستلام: 2021/04/18 تاريخ النشر: 2021/06/01

هنا تظهر فائدة الملاحظات التي أشار إليها ابن خلدون من أجل تنظيم الدرس اللغوي ودراسته دراسة علمية تتعلق بالعلم والمعلم والمتعلم والجهد العلمي ليكون اكتساب اللغات أسرع وأنجح.

طريقة اكتساب اللغة

قال ابن خلدون مشيراً لطريقة اكتساب اللغة في شكلها الطبيعي: "يسمع المتكلم لغة أهل جيله، وأساليهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولاً، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك. ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم". ص: 358. فاللغة في نظره وحسب رؤيته تؤخذ ابتداءً بسماع أصوات وكلمات، ثم تراكيب، ثم تتكرر فتتطور حتى تكتمل، وهنا نلاحظ وكأنه لا يفرق بين الاكتساب والتعلم ومعلوم أن اكتساب الطفل للغة يتم في الغالب دون وعي ودون معرفة بالاصطلاحات التي تميز بين أنواع المفردات وفي وقت أسرع لأسباب كثيرة، منها: أن اللغة حتمية وضرورية في تحقيق الذات، وثانياً أن الطفل يشبه الصفحة البيضاء وعندما يتعلم اللغة لا تنازعه عوائد نطقية سابقة فيكونه تعلمه أسرع من تعلم الكبار لغة ثانية. تمام حسان ص: 40، 41. وقد اشتهر هذا الرأي عند تشومسكي وأصحابه، ففرقوا بين اكتساب اللغة، وتعلمها وجعلوا (الاكتساب) يحدث في الغالب دون وعي ودون مراعاة للقواعد وهو أسهل وأسرع من (التعلم) الذي يحدث غالباً وفق خطة وقواعد، وهذه الأخيرة تؤدي وفق رأيهم دوراً مهماً في تمثيل اللغة واكتسابها. كما أشاروا إلى أن الاكتساب اللغة الأولى كثيراً ما يؤثر سلباً على تعلم اللغة الثانية: Gilles Siouffi; p 87.

ثم أشار ابن خلدون لأهمية اللغة اجتماعياً، فوضح أن اللغة هي سبب الانتماء إلى الجماعة وهي الحبل الرابط للفرد بجماعته، فهي تراكمية ودورها تحقيق الذات من جهة، وهي أداة لإلحاق الفرد بجموعته التي ينتمي إليها من جهة ثانية: وهذا معنى قوله في المقدمة: "ويكون كأحدهم" ابن خلدون، 2000، ص: 358. فهي إذن حسب ملاحظته أحد أقوى الروابط الاجتماعية وتحصيلها من أهم شروط الانتماء إلى المجموعة، فهناك إذن هدف اجتماعي يدعو المتعلم إلى التعلم، ويدفعه دفعا، هذا الهدف قد يكون في وعي المتعلم ويقصده وقد لا يكون واضحاً، ولكنه لا شك حاضر تدل عليه الأحوال وتثبته النوايا، وإن لم يكن تعلم اللغة يعني للصبي الصغير شيئاً غير التقليد، فإنه يعني الكثير لمن يعتنون به ويعلمونه ويحرصون على أن يندمج في المجتمع.

تاريخ النشر: 2021/06/01

تاريخ الاستلام: 2021/04/18

ويبدو أن طريقة الاكتساب التي يمر بها الطفل حين يكتسب لغته، في نظر ابن خلدون هي المنهج الأحسن الذي يجب اتباعه حتى مع من يتعلم لغة ثانية غير لغته، فقد ختم الفكرة بقوله: "هكذا تصير الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والأطفال" 358. فاستخدمه ابن خلدون الجمع في الألسن واللغات، والعجم والأطفال يدل على أن فكرته عامة ولا تخص لغة بعينها ولا تميز اللغة الأم المكتسبة ابتداء عن اللغة الثانية التي تتحقق تعلمها وقد وجدت هذه الفكرة من يساندها من علماء اللسانيات التطبيقية ورأوا أن اكتساب لغة جديدة على نهج اللغة الأولى ممكن وسموه الطريقة الطبيعية. Pierre Martinez, 2014. p53.

ملاحظات وتنبهات منهجية

لقد نبه ابن خلدون في أماكن عديدة من مقدمته على بعض المسائل المتعلقة بالتعليم واكتساب المهارات، فجعل تعليم العلم عامة من جملة الصناعات، أي المهن، أو الفنون، وجعله سببا من أسباب رقي المجتمع الانساني وقد أشار إلى ذلك صاحب كتاب الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته. مصطفى الشكعة، 1992: 63. كما عالج طرق التعلم بشكل عام، فانتقد صراحة المعلمين الذين يفتقرون للمنهج الجيد الصحيح ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المعقدة من العلم، ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها، ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه، ويكلفونه وعي ذلك وتحصيله، فيخاطبون عليه بما يقفون له من غايات الفنون ومبادئها، وقبل أن يستعد لفهما، فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجيا. ابن خلدون، 2000، ص: 343. كما أنه انتقد العنف مع الطلاب وحذر من الشدة مع التعلم، والقسوة والمبالغة في التوبيخ أو الضرب لعظم أثرها السيء على النفس، فهي تكسر النفس وتميت فيهم النخوة وتمنع من انبعاث الهمم: "فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبدوا عليهم في التأديب" ابن خلدون، 2000، ص: 347.

هكذا يوضح ابتداء أن للتعليم بشكل عام أجواء خاصة يجب أن يتحقق فيها، وله مناهج تتبع، وله طرق يتوسل بها لبلوغ الهدف، وأن المنهج الأفضل والطريقة الأحسن في رأيه هي البدء بالأصول، بأن يُعطى الطالب أصولا عامة وقواعد كلية ثم يتدرج في المسائل من السهل إلى الصعب (مبدأ التدرج) ومن البسيط إلى المركب (مبدأ التسهيل). وبيّن أن بعض القضايا من العلم يفضل تأجيل الحديث فيها ويؤخر تناولها؛ لكي لا يتم الخلط على المتعلم. قال: "والمقدم في التعليم هو البسيط لبساطته أولا، ولأنه مختص بالضروري الذي تتوفر الدواعي على نقله فيكون سابقا في التعليم ويكون تعليمه لذلك ناقصا". ابن خلدون، 2000، ص: 226.

فابن خلدون والحالة هذه ينتقد بوعي وينصح برؤية ومنهج فهو ينتقد الضعيف المتهافت من المناهج، ويضرب الأمثلة عليها لتكون أقرب للحس، ويعطي البدائل التي تصلح من حال عملية التعلم، وتجعله أكثر نجاعة وأقدر على تحقيق الهدف، كما يراعي حالة المتعلم النفسية، فطلب اعتباره واحترامه، وبينه ابن خلدون على أن إقحام المسائل الصعبة ومطالبة الطالب بما يفوق قدرته قد يكون سبب تنفير ويقف حجر عثرة في طريق التعلم.

وإذا عرفنا أن الدراسات الحديثة اهتمت في مجال (علم اللغة النفسي) بظروف المتعلم النفسية، درجة إقباله على التعليم، وعوامل هذا الإقبال، وهو ما يسمونه الدافع والحافز، والتفكير في تكوينه السابق والانطلاق من نقطة تناسب المتعلم، مع مراعاة الاستعدادات الفردية والقدرات العقلية، والظروف التي جعلت المتعلم يخضع للتعليم عرفنا سبق ابن خلدون من جهة، وعرفنا أهمية ما أشار إليه من جهة أخرى. تمام حسّان، 2011، ص: 40-41.

وقد اهتمت الدراسات الحديثة التربوية البيداغوجية من جهة، وعلم الاجتماع اللغوي من جهة أخرى بالمعلم وطريقة تهيئته التهيئة المناسبة للهدف المراد الوصول إليه. المصدر السابق، ص: 41. وقراءة واعية في المقدمة تدلنا على ابن خلدون كان يصدر عن موقف فكري ذي رؤية حضارية استفادت من كل ما توفر لها من التراث الإنساني. وملاحظات ابن خلدون كما أسلفنا - وإن كانت هنا عامة- إلا أن بها عمقا وعموما وتنظيما يمكننا أن نطبقها في مجال تعليم اللغات. إشارات ابن خلدون وأمثله موزعة على المتعلم والمعلم والجهد التعليمي، ومن كلامه: "اعلم أن تلقين العلوم إنما يكون مفيدا، إذا كان على التدريج، شيئا فشيئا، وقليلًا قليلًا". ابن خلدون، 2000، ص: 343. وأضاف في مناسبة أخرى، وهو يعني حصول الملكات: "ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها من القوة إلى الفعل، بالاستنباط شيئا فشيئا على التدريج حتى تكمل، ولا يحصل ذلك دفعة، وإنما يحصل في أزمان وأجيال" ابن خلدون، 2000، ص: 226. وأشار بإشارات لطيفة إلى الجهد التعليمي الذي يبذله المعلم بشطريه النظري والتطبيقي يعرفها من يقرأ بين السطور بوعي، ومن إشاراته أنه يجب البدء بالقوانين العامة والقواعد الكلية قبل الدخول في الجزئيات، "يلقي عليه أولا مسائل من كل باب هي أصول ذلك الباب" ابن خلدون، 2000، ص: 343. كما أشار إلى أن ظاهرتي الإعادة والتكرار، واعتبرهما بوعي تام من الوسائل التي تعمل على تعزيز العلم وتحقيق الملكة، وقد أشار إلى أن التكرار يجب أن يطعم بالجديد في كل مرة والمفيد، ليتم الارتقاء بالمتعلم عبر مراحل متلاحقة حتى يحقق التعليم الهدف المراد منه وقد جعل المراحل ثلاث نذكرها مرتبة:

تاريخ الاستلام: 2021/04/18

تاريخ النشر: 2021/06/01

1 - المرحلة الأولى وفيها تلقى مسائل من كل باب من الفن، هي أصول ذلك الباب تهيؤه لفهم الفن وتحصيل مسائله.

2 - قال ثم يرجع به إلى الفن مرة ثانية، فيرفعه في التلقين إلى رتبة أعلى من الأولى ويستوفي في هذه الشرح والبيان.

3 - يرجع وقد شدا فلا يترك عويصا ولا مبهما ولا منغلقا إلا وضحه وفتح له مقله. ابن خلدون، 2000، ص:343. وكان تمام حسّان أفاد من هذه التصور في كتابه (التمهيد) حين جعل لاكتساب اللغة ثلاث مراحل، هي التعرف، والاستيعاب، والاستمتاع، ووصفها بأنها عمليات تتم كل منها في مرحلة، وأن بين المراحل رتبة محفوظة من الناحية النظرية، وأن تداخل بعضها مع بعض بدرجات متفاوتة. تمام حسّان: 1984، ص:151.

وقد وضح الدكتور المسدي في كتابه القيم مباحث تأسيسية في اللسانيات أن كتب التربية اليوم تهتم بالهدف، والمستهدف من عملية التعليم، فتسير على خطة تراعي جوانب السنّ، والإدراك العقلي للمتعلمين، ونوع الدرس: أهو في اللغة الأم أم في اللغة الثانية، كما تراعي معطيات أخرى اقتصادية وسياسية تعليمية خاصة عند رسمها البرامج ووضعها للخطة التعليمية وقد تناول هذه الموضوعات عبد السلام المسدي، 1979، ص:220.

ومن الملاحظات التي ربما لا يساعد عليها الواقع أو أن لنقل إن ابن خلدون فهمها على شكل مغاير هي عدم الخلط بين العلوم في التعلم والاكتساب، فقد رآه ابن خلدون عائقا عن الأخذ فقال: "ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معاً، فإنه حينئذ قلّ أن يظفر بواحد منهما لما في ذلك من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر". وحسب صاحب كتاب التعليم المفيد عند ابن خلدون أن هذه الفكرة تبعه فيها آخرون منهم: صاحب كتاب التربية عبر التاريخ. عبد الله عبد الدائم، احميدة العوني: 2015، ص:18. ونحن نرى ونشاهد كيف أن المؤسسات اليوم لم تلتزم بهذه الفكرة وهي تخلط بين العلوم وتحاصص بين المقررات وتغاير بين التخصصات، وقد حققت نجاحات لا تخفى. ومع هذا يظل لهذه الفكرة حضورها وألقها، فقد صرح مؤلف كتاب اكتساب اللغة الأجنبية ولفقائك كلين الهولندي (Wolfgang) أن بعض المدارس التي تدرس اللغات قررت في تجربة مشهورة وكانت طريقتها: إغراق الطلاب بدروس مكثفة لمدة تتراوح بين أربع الى ستة أسابيع بمعدل اثنتي عشرة ساعة يوميا، فأعطى هذا البرنامج المكثف ثمره، وأدى إلى نتائج جيدة مع طلاب يعتبرون من متوسطي الذكاء، هذا وإن ظل مستوى الطلاب حسب رأي الدارس خاصة فيما يتعلق بالمفردات ومعرفة مختلف التركيبات ضعيفا أو دون المستوى.

تاريخ النشر: 2021/06/01

تاريخ الاستلام: 2021/04/18

Wolfgang;1989, p21. وفي الولايات الأمريكية زمن الحرب الكونية الثانية ومن أجل حاجتهم لمن يتقن لغات شعوب كثيرة وضعوا على وجه السرعة وبمساعدة لسانيين منهم اللساني الأمريكي ليونارد بلومفيلد (Bloomfield Leonard) برامج لتعليم اللغات، فوضعوا كتباً تشتمل على نصوص أشرف على استخدامها مدربون واساتذة وكانت الدراسة تستغرق عشر ساعات في اليوم. PierreMartinez.2014.p58. وهذا يدل على ان بلوغ كمال الملكة اللغوية يحتاج وقتاً أطول للتكرار ويحتاج أيضاً اطلاعاً أوسع و استماعاً أوفر وقراءة للحفظ وتدريبات على الاستعمال، وقد صرح به ابن خلدون في أكثر من مرة وهو يتحدث عن حصول الملكات، ولنا عودة له. ابن خلدون، 2000، ص: 227، 342، 358.

خصائص اللغات

يلاحظ الدارس أن ابن خلدون في بعض دراساته يعطي معلومات عامة تخص اللغات كلها ولا تقتصر على لغة دون أخرى، كما أنه أشار إلى بعض الظواهر التي اقتصت بها العربية لسان مضر، واللغة المحكية المستعملة في وقته، والتي سمّاها (لسانا حضريا) فهو ينبه إلى وجود فرق بين لغة مضر اللسان العربي الفصيح، واللغة المستعملة في عصره كما ينبه إلى وجود كثير من الخصائص التي تجمع اللغات كلها وهذا يشير إلى أنه له رغبة في دراسة الموضوع بشكل يهتم بالقوانين العامة والقواعد الكلية ذكر ابن خلدون شيئاً من خصائص اللغات فبين أن لكل لغة قوانين تخصها ابن خلدون، 2000، ص: 359. كما بين الطرق التي بها تزدهر والظروف التي فيها تقرض نفسها لغة مستعملة وأسباب البقاء وأسباب الارتقاء وأسباب الفناء، فبين أن اللغة تتبع أهلها حضوراً وضموراً، فالأمة المغلوبة تفقد لغتها، وضرب مثلاً كيف أن كثيراً من الأمم هجروا لغاتهم وألسنتهم في جميع الأمصار والممالك وصار اللسان العربي لسانهم. ابن خلدون، 2000، ص: 213، 367. ونلاحظ أن من منهجه أن يستخدم الواقع والتاريخ شاهداً، ويعطي الأمثلة الواقعية مقرباً للأفهام، فيُجادل والحالة هذه بحجة، ويثبت ببرهان جاء في المقدمة: أن اللغات متوارثة وأن لغات الأمصار تكون بلسان الغالبين عليها أو المختصين لها. ابن خلدون، 2000، ص: 213. فبين أن الغلبة السياسية لها دور في فرض اللغة لساناً رسمياً، وأن الغلبة السياسية تقوم ما لها دور في ازدهار لغتهم، قال: "لأن الناس تبع للسلطان وعلى دينه" ابن خلدون، 2000، ص: 213. وساق لذلك أمثلة، منها: ما وقع للدولة الإسلامية في طور نشأتها من الغلبة على الأمم، حين هجرت الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميع الأمصار والممالك وصار اللسان العربي لسانهم. ابن خلدون، 2000، ص: 213.

ومما أشار إليه من ملاحظات أن اللغات تتطور وتتغير بالاختلاط مع غيرها من اللغات، وتفسد وقد تموت، جاء في المقدمة "ولقد كان اللسان المضريّ واللسان الحميريّ بهذه المثابة يعني الاختلاط والتأثر، وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان الحميري وتصاريف الكلمات، تشهد بذلك الأنتقال الموجودة لدينا، خلافا لمن يحمله القصور على أنهما لغة واحدة..." ولغة حمير لغة أخرى مغايرة للغة مضر في الكثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها". ابن خلدون، 2000، ص: 359. وهو بهذا يبرهن أنه على وعيٍ بالتغيير، وأنه سبق الدراسات اللغوية الحديثة، إذ رواد الحركة اللغوية في القرن الثامن عشر والتاسع عشر تحققوا من فرضية أن الألسنة البشرية تتغير، مع الزمن بالضرورة حتى تفارق على التدرج هيئتها الأولى كلية. وحصل التسليم بأن دراسة تغيير الألسنة البشرية تمثل علما قائما بنفسه يدرس عادة تحت مسمى علم اللغة التاريخي. وتم على الصعيد التنظيري الجزم بأن تغيير اللغة لا يتعلق بإرادة الإنسان بقدر ما هو وليد اقتضاء داخلي في ذات اللغة، وأن اللغة نفسها تتغير، وأن تبدل الألسنة تحكمه علل طبيعية أكثر مما تستثيره الأسباب الحضارية. المسدي، 1979، ص: 197. قال يصف نتيجة السيطرة السابقة للعرب في أول ظهورهم: "ثم فسد اللسان العربي بمخالطتها في بعض أحكامه وتغير أو اخره وإن كان بقي في الدلالات على أصله، وسمي لسانا حضريا في جميع أمصار الاسلام". ابن خلدون، 2000، ص: 213. وهو هنا يشير إلى التطور السلبي للعربية وضياع ظاهرة الإعراب في العربية بالاختلاط الواسع واستحالة اللغة غيرها وتغيرها كلية، فهي لم تعد العربية لسان مضر كما كان يسميها، بل صارت عنده ووفق اصطلاحه لسانا حضريا، ويعني به: لغة محكية مستعملة يستخدمها الناس للتواصل فيما بينهم. ولمزيد بيان للفكرة أضاف مثلا آخر فقال: "لما تملك العجم من الديلم، والسلجوقية، بعدهم بالمشرق وزناته والبربر بالمغرب وصار لهم مُلكُ فسد اللسان العربي لذلك". وكاد اللسان العربي يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة اللذين بهما حفظ الدين وصار ذلك مرجحا لبقاء اللغة المضرية من الشعر والكلام. ابن خلدون، 2000، ص: 214. ولما ملك المغول بالمشرق، ولم يكونوا على دين الإسلام ذهب ذلك المرجح وفسدت اللغة العربية على الاطلاق. وأضاف: "وربما بقيت اللغة العربية المضرية بمصر والشام والأندلس والمغرب لبقاء الدين طالبا لها. وأما في ممالك العراق وما وراءه فلم يبق له أثر ولا عين حتى إن كتب العلوم صارت تكتب باللسان العجمي. وكذا تدريسه في المجالس". ابن خلدون، 2000، ص: 214. ونستخلص من وصفه وتنظيره أيضاً:

إن من أسباب بقاء اللغة وجود الحاضنة السياسية، فإذا ضعفت السلطة السياسية تبعها ضعف في حضور اللغة، وفقدت إحدى مقوماتها لغة مسيطرة لجماعة كبيرة أو أمة وتراجعت لتترك المكان لغيرها. الحاجة إلى اللغة دينياً أو اجتماعياً قد يحدد مكانتها، فاللغة تكون حاضرة بحضور المتكلمين بها، قوية بقوتهم وتضعف بضعفهم.

نستنتج أيضاً أن النصوص إذا حفظت، والقواعد إذا أسست يمكن لها أن تحافظ على بقاء اللغة، وإن ضعف أهلها سياسياً أو فقدوا مكانتهم اجتماعياً لبرهة من الزمن، فالنصوص المحفوظة والقواعد المكتوبة تدفع التطور السريع والاستحالة البيئية، كما يمكن للقواعد أن تستخدم معاونا وأداة ليعاد للغة بريقها ولتقاوم الانقراض والتطور السريع غير المنضبط بضوابط، كما أن القواعد قد تستخدم أداة لتعلم اللغة لتعود لمكانة سابقة ولتؤدي دوراً فقدته ولكنها لا تعود كالطبيعة إلا بطول تمرين وكثرة مدارس.

اللغة الفصحى واللسان الحضري

سمى ابن خلدون اللغة التي تعودنا بأن ننعثها بأنها اللغة الفصحى ولغة القرآن الكريم والشعر تلك التي حفظت عن العرب زمن بقاء السليقة: (اللسان الحضري). وقد صرح بأن هذه الفصحى لا وجود لها في عصره، وأنها ذهبت وفسدت، وأكد أن لغة أهل الجيل مغايرة للغة مضر التي نزل بها القرآن، أما اللغة المستعملة في وقته فهي لغة أخرى نتجت من امتزاج العجمة والعربية سماها ابن خلدون (لساناً حضرياً). ابن خلدون، 2000، ص: 213.

نلاحظ ابتداء أنه لم يفرق بين اللغة واللسان كما هو حال أكثر اللسانيين اليوم، ونستنتج أيضاً أن اللغة الفصحى في زمنه هي لغة ثانية، تكتسب تعلمها، وليست لغة منطوقة وإجادتها والتمكن من معرفتها لا بد من تعلمها ومعرفة قوانينها التي تضبطها وقواعدها التي تسيّر عليها. وقال بخصوصها: "ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد واستقرينا أحكامه نعتاض عن الحركات الإعرابية التي فسدت في دلالتها بأمر آخرى وكيفيات موجودة فيها، فتكون لها قوانين تخصصها، ولعلها تكون في أواخره على غير المنهاج الأول في لغة مضر فليست اللغات وملكاتنا مجاناً". ابن خلدون، 2000، ص: 359.

وهنا ابن خلدون يوضح أن لكل لغة قوانينها التي تحكمها، وطريقتها التي تخصصها، وأنه يمكن الوصول إليها بالتتبع والوصف، والتقنين ووضع الأحكام، فهل كان يدعو لوصف جديد للغة؟ ويشير إلى إمكانية وصف اللغة في عصره ووضع قواعد وقوانين تخصصها، وهو في الواقع ينبه على إمكانية وصف كل لغة، وإمكانية وضع القوانين لها، فكل اللغات سابقة على قوانينها وإنما تنشأ القواعد من الملاحظة تاريخ الاستلام: 2021/04/18 تاريخ النشر: 2021/06/01

وتدوين المعلومات التي تخص مدونة ما كما نستنتج منه أن اللغات متغيرة وتتطور. قلنا: أطلق ابن خلدون على الفصحى لغة القرآن (لسان مضر) وقال: إنها ملكة كانت تكتسب سماعاً، وهو حال كل لغة تؤخذ سماعاً. ولكن إذا وضعت للغة القواعد، وصارت لها قوانين فمن الممكن أن تؤخذ تعلماً من الصحائف والكتب والقراطيس وبمساعدة المعلمين وإشرافهم، ومهما يكن فإن السماع في اللغات لا بد منه، وهو الطريق الأمثل لاكتساب اللغة وبدونه لا يستطيع أحدنا تمثيل قوانين أي لغة، وتظل اللغة دون النطق بها جثة هامدة لا حياة فيها، كعين كاملة الخلقة ولكنها لا تبصر، ولذلك تعذر إحياء اللغات التي تموت واعتبر اللغويون أن موت أي لغة هو خسارة إنسانية فادحة. واكتساب لغة وإجادة لسان معدود عند ابن خلدون من الملكات، ومن الأفعال الاختيارية، واللغة العربية من بينها، وهي في نظره وحسب رأيه تكتسب عبر مراحل تتطور ومران حتى تستوي ملكة راسخة، فيظنها المشاهد طبيعية، كما هو رأي كثير من البلغاء في اللغة العربية: فيقولون: "العرب كانت تعرب بالطبع وتنطق بالطبع وهذا وهم" ابن خلدون، 2000، ص: 340. وهو هنا يكاد يصرح بأن اللغة العربية حتى في أول زمن الجاهلية وعصر الإسلام كانت لغة ثانية، تتعلم ويتدرب عليها لتكتمل فيها الملكة، وليست فطرة وطبعاً. وقد تبنى هذه الفكرة بأكملها المرحوم الدكتور تمام حسّان في أحد أقواله فقال في كتابه الفكر اللغوي الجديد وهو ينبه على ضرورة أن يكون معلم اللغة عارفاً باللغة التي يعلمها، عارفاً بطبيعتها أهي لغة قومية، أو لغة منشأ؟ أو تخص طائفة؟ قال: "والأمر بالنسبة لمعلم اللغة العربية واضحاً من هذه الناحية، فله الحمد أن تكون الفصحى هي لغتنا الثانية، هكذا كانت في الجاهلية، وهكذا ظلت في تاريخ الإسلام إلى يومنا هذا. وجب أن نطبق على تعليمها وإعداد البرامج لها ما يتناسب من المناهج مع اللغة الثانية" تمام حسّان، 2011، ص: 41. فابن خلدون هنا قريب من الرأي الحديث الذي يرى أن اللغة جزء من العالم النفساني لدى البشر، وهي ضرب من السلوك تقوم وظيفته على مبدأ التواصل. عبد السلام المسديّ 1979، ص: 224. فالناس يولدون وليس بهم مقدرة على المحادثة ولا الفهم، وإنما حملوا على اكتساب تلك المهارات بدوافع اجتماعية ونفسية، تساعدهم قدراتهم العقلية ويستعملون أدوات منها السماع والحفظ وضرورة الاستعمال، ولذلك لم يتساووا في تحصيلها. وابن خلدون يرى أن ما يشاع من أن كل عربي في ماضي الجاهلية وأول الإسلام كان ينطق لغة فصحى فيه نظر، فالناس في كل زمان ومكان يختلفون في القدرة على اللغة واستخدامها، ومن البدهية أن نعرف أن إمكانيات الناس تختلف فإمكانيات شاعر كالممتنبي أو أبي تمام لا بد أنها أكبر من إمكانيات الرجل العادي أو إمكانيات بعض المتأدبين. ووضح ابن خلدون أن اللغة الأولى التي ينشأ عليها الطفل

متى استحكمت كانت هي الأقوى، فالملكة حسب رأيه: "إذا تقدمت في صناعة بمحل، فقلّ أن يجيد صاحبها ملكة في صناعة أخرى وهو ظاهر" ابن خلدون، 2000، ص:350. وقال ابن خلدون وهو يؤكد رأيه بأمثلة من الواقع "وانظر من تقدم له شيء من العجمة كيف يكون قاصرا في اللسان العربي أبداً، فالأعجمي الذي سبق له اللغة الفارسية لا يستولي على ملكة اللسان العربي ولا يزال قاصرا فيه ولو تعلمه وعلمه. وكذا البربري والرومي والإفرنجي قلّ أن تجد أحدهم محكما لملكة اللسان العربي وما ذلك إلا لما سبق إلى ألسنتهم من ملكة اللسان الآخر". المصدر السابق، ص:367.

وكنا ذكرنا في هذا البحث رأي تشومسكي في أثر اللغة الأولى المكتسبة سماعا على اللغة الثانية المكتسبة تعلمًا. ونرى ان ابن خلدون قد منع أن تكون البلاغة، وهي فن إجادة القول وفهم المعاني في العرب فطرة وطبعًا، ورجح أنها ملكة كانت نتيجة تدريب وتعود: قال في المقدمة: "ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم إعراب وبلاغة أمر طبيعي ويقول: كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي انها جبلة وطبع" ابن خلدون، 2000، ص:363. ومما نعتبره مؤيدا لقول ابن خلدون ما جاء في صبح الأعشى، قال صاحب الريحان والريهان: "ولم يزل الخلفاء الراشدون بعد النبي يحثون على تعلم العربية وحفظها والرعاية لمعانيها إذ هي من الدين بالمكان المعلوم والمحل المخصوص قال عثمان المهري أتانا كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونحن بأذربيجان يأمرنا بأشياء ويذكر فيها تعلموا العربية؛ فإنها تثبت العقل وتزيد في المروءة". الفلقشندي، 1987، ج 1، ص:10.

منهج ابن خلدون وطريقته في اكتساب اللغة

لمّا نزل القرآن الكريم باللغة العربية، فرضت العربية نفسها لسان أمة وأداة حضارة يساعدها في بلوغ تلك المنزلة كتاب ديني يؤسس لسلطة روحية، وسلطة سياسية لها قوتان إقناعية وإلزامية قهرية، وفرضت اللغة العربية نفسها روحيا وسياسيا، واجتماعيا فصار استخدام الفصحى مطلوبًا دينيا لإتمام العبادات وضروريا سياسيا لتحصيل الرتب ومرغوبا اجتماعيا؛ لأنها صارت من علامات التفوق، ومشروطة لنيل الرتب والوظائف تضمن الاقتراب من ذوي النفوذ وأصحاب السلطات، لذلك كثر الطلب على تعلم العربية من غير العرب كما رام العرب، ومن عاش بينهم تعلمها؛ لأنها لم تعد تتكلم بفطرة لغلبة اللحن.

وتصدر أناس يعلمونها يختصرون الوقت والجهد، فاقترحوا الأفكار واستحدثت المناهج، فقننت العربية وصار لها نظام هو قواعدها يحفظ طريقته تاريخ الاستلام: 2021/04/18 تاريخ النشر: 2021/06/01

ويستخدم في تعلمها، كما يستخدم في دفع اللحن عنها وحفظها من الاستحالة إلى غيرها. قال ابن خلدون: "ثم صارت علوم اللسان صناعية في الكلام في موضوعات اللغة وأحكام الإعراب، والبلاغة في التراكيب" ابن خلدون، 2000، ص:252. وقد عرّف قبله ابن جني المتوفى 392 هجرية علم النحو فوضح دور النحو وفائدته كمقاربة في اكتساب اللغة فقال: "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقيق، والتكسير والاضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكمنهم وإن شذ بعضهم عنها رد بها إليها". ابن جني، 1:983:34. وقد أشار ابن خلدون إلى تاريخ وضع النحو العربي معرجا على الأسباب، التي كانت وراء وضع علم النحو، ذكرا ذلك التنوع الذي حصل من المناظرات بين الفرقاء في المدارس المختلفة، وأشار ابن خلدون إلى أنهم اقترحوا مناهج، ومارسوا طرقا لتعلم العربية الفصحى فألفت كتبٌ وأسست نظراتٌ وتكونت مدارسٌ، قال ابن خلدون: "فوضعت الدواوين في ذلك بعد أن كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها إلى نقل ولا إلى كتاب" ابن خلدون، 2000، ص:252. وقد ذكر كتبا كثيرة مسجلا أعجابه بها، فذكر كتاب سيبويه وهو أول مؤلف في النحو يصلنا إلينا تماما، ووصفه بأوصاف كثيرة وأشاد به معجبا وأثنى عليه مصرحا بأنه المصدر الأحسن لمن أراد تعلم العربية، وأن مؤلفه أكمل تفاريع العربية، واستكثر من أدلتها، وشواهد. فنوه بهذا إلى أن كتاب سيبويه كتاب جليل يجمع بين التنظير والتطبيق دون إهمال لذكر الكثير من الأدلة المأخوذة من الواقع الحقيقي للغة. كما أشار إلى أن الكتاب "صار إماما لكل ما كتب فيها من بعده". ابن خلدون، 2000، ص:353.

وهذه الظاهرة أعني ظاهرة الاتباع لكتاب سيبويه وإجلاله لاحظها المتأخرون أيضا، ولاحظوا المبالغة فيها وعدوها من الانتقادات التي توجه إلى النحو العربي: جاء في كتاب دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتعييدها للباحثة لطيفة إبراهيم النجار: "اتخذ نحاة العربية في وصف الظاهرة النحوية وتعيد قواعدها نظاما معينيا يكاد يطرّد في معظم مصنفاتهم، وبخاصة المتأخرة منها، وهو ما عرف بنظام الأبواب النحوية، فبعد أن ينتهي النحوي من الحديث في الكلام وأقسامه، وبعد أن يصنف كل قسم منها ينتقل إلى مرحلة وصف التراكيب في العربية، وقوانين نظمها وتحديد العلاقات بين مفرداتها من حيث الإعراب والترتبة والحذف، الخ، وتقوم عملية الوصف هذه على أفراد كل وظيفة نحوية بباب خاص يفصل القول فيه عن طبيعة هذه الوظيفة من حيث معناها، وإعرابها وشروطها الصرفية وأوضاعها المختلفة من تقديم وتأخير وحذف وتقدير... الخ، لذلك وصف نحو العرب بأنه نحو مفردات، وأن دراساتهم منطلقة من المفردات

وراجعة إليها. بمعنى أنها أهملت دراسة الوظائف النحوية ضمن تراكيب كئيّة، أو ضمن أطر عامة تبرز فيها العلاقات بين الوظائف بصورة تتحدد فيها الأسس التي يقوم عليها النظام النحوي في العربية". لطيفة النجار 1992، ص: 143.

لقد خالفنا قليلا فنقلنا هذا النص مع طوله لأهميته ولنوضح به الفكرة التي تحكم كتب النحو، وما يحتاج إليه النحو من تجديد ليحمله أقرب للأذهان وأدعى للمساهمة في تجديد مناهج تعليمه. وقد اهتم ابن خلدون بجانب تعليم اللغة ممارسة، وشارك فيها بأراء مهمة وضع حدودها في مقدمته، ونرى أن تناوله للمسألة من جانبين جانب يهتم بالصناعة، وجانب يهتم بالملكة اللسانية. قدمنا أن ابن خلدون يرى أن اللغة ملكة وقد أفرد لتعلم العربية بابا في مقدمته أسماه (في تعلم اللسان المضري) فكيف تكتسب هذه الملكة في رأي ابن خلدون؟

ابن خلدون لم يتعرض لبداية الاكتساب فلم يحدثنا عن كيفية تلقين أصوات اللغة وتجهيزها لتكون في متناول متعلم اللغة ولم يشر هل يبدأ فيه بحروف الهجاء والحركات أو بالكلمات ومنها إلى النص؟ ولم يحدثنا على وجه التفصيل عن طريقة التعليم التي كانت معهودة في زمنه. والسبب يعود إلى أن كتابه ليس كتابا في النحو والقواعد، وملاحظاته هنا في هذا الفصل تعلقت بالملكة لا بالصناعة ومقدمته كتاب فلسفي فيه تاريخ وتقسيم وتنظير واقتراح، ولكن ابن خلدون أولى اهتماما بما يسمح بتطوير اللسان واكتمال الملكة استعمالا وتطبيقا وما قاله يصدق على اللغات كلها وإن خص به هو العربية. نبه ابن خلدون في الفصل الذي خصه لتعلم اللسان المضري على جوانب ثلاثة عدّها ضرورية لاكتمال ملكة النطق بالعربية، والتمكن منها انتاجا واستقبالا، أي فهما ونطقا واستخداما أو بعبارة تمام حسّان في نظريته التي أسماها نظرية الأسلوب العدولي وقسم فيها مراحل اكتساب اللغة إلى ثلاثة هي: التعرف، والاستيعاب، والاستمتاع. تمام حسّان، 1984، ص: 151. وقد ذكر ابن خلدون في تنظيره اثنين من مراتب وصول العلم إلى النفس، كما ذكر ما كان يجب أن يكون نتيجة لهما والجوانب التي ذكرها هي: 1- الحفظ 2- والفهم 3- الاستعمال.

الحفظ:

الحفظ دلالاته ومتعلقاته كثيرة، فالحفظ يكون مثلا للبدن والنفس والسر، والعهد، ويُعرّف بأنه مرتبة من مراتب وصول العلم للنفس يُسبق بالشعور⁽¹⁾ والإدراك، فيأتي ثالثا، وقيل هو استحكام المعقول في العقل: ذكر ذلك القاضي الحنفي أبو البقاء الكفوي ت. 1094 هـ: الموافق 1683 م في كليته وهذا نصه:

(1) الشعور، وهو أول الإحساس بالعلم كأنه مبدأ إنباته قبل أن تكمل صورته وتتميز. التعريفات، ص: 431.

"إن مراتب وصول العلم إلى النفس: الشعور، ثم الإدراك، ثم الحفظ، وهو استحكام المعقول في العقل". وأضاف الكفوي: "ثم التذكر وهو محاولة النفس استرجاع مازال من المعلومات، ثم الذكر وهو رجوع الصورة المطلوبة إلى الذهن" فجمع الكفوي هنا بين أداة هي التذكر ونتيجة هي الذكر. الكفوي، 1998: 67. فنلاحظ بعد معاينة نص الكفوي أن ابن خلدون قد ذكر مرتين من مراتب حصول العلم في النفس هما: الحفظ والفهم. ونكاد نجزم بأن فكرة تمام حسّان التي ذكر فيها (التعرف) في كتابه التمهيد في اكتساب اللغة لغير الناطقين بها تقاربت مع فكرة ابن خلدون، فإنه إذا تقاربت الديار تقاربت الأفكار، وأنه كاد الحافر فيها أن يقع على الحافر. تمام حسّان، 1984، ص: 151.

ونقرأ في نص ابن خلدون وهو يوضح طريقة اكتساب اللغة إلى أن تصبح ملكة: "وجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث، وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولدين أيضا في سائر فنونهم، حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقّن العبارة عن المقاصد منهم" ابن خلدون، 2000، ص: 361. والحفظ لا بد له بطبيعته أن يسبق بقراءة أو استماع؛ لذلك كان أثره أكبر من القراءة والحفظ. وفكرة أن الكتابة تساعد على اكتساب اللغة فكرة حديثة نادى بها كثير من المنظرين الغربيين وكانوا قد اعتبروا الكتابة نظاما خاصا أو لغة في اللغة، له قوانينه التي تحكمه، وهو نظام تختص به في الغالب المدارس، ويشتمل على قيود لا تشتمل عليها اللغة المنطوقة. ونقول أيضا: إن فكرة حفظ النصوص تُسهّل معرفة اللغة وفهمها هي فكرة قديمة في الفكر العربي، فقد روي أن عمر بن الخطاب كان يقول: علموا أولادكم لامية العرب فإنها تفتح الأشداق وتعلم الأخلاق. قال الزبيدي في كتابه طبقات النحويين واللغويين: ولم تنزل الأئمة من الصحابة والراشدين ومن تلاهم من التابعين يحضون على تعلم العربية وحفظها والرعاية لمعانيها، إذ هي من الدين بالمكان المعلوم فيها أنزل الله كتابه المهيمن على سائر كتبه، وبها بلغ رسوله عليه السلام وظائف طاعته وشرائع أمره ونهيه. الزبيدي، 1984، ج 1، ص: 12.

وهذا ابن خلدون، ينوّه على أهمية حفظ مقطوعات من كلام العرب ويعتبرها طريقة ناجعة في اكتساب لغة العرب، وهو يقصد هنا الملكة الراسخة في النفس، ولا يعني بها حصول المعرفة العلمية لطريقة اشتغال اللغة والتي تعنى بالعلاقات بين أجزاء الكلام: "والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة فهو علم بكيفية، لا نفس كيفية، فليست نفس الملكة" ابن خلدون، 2000، ص: 361.

ففرق هنا بين حصول ملكة النطق بالعربية، ومعرفة قواعد العربية علماً. ونستطيع القول إن هذه الفكرة تكاد تعادل مصطلح الكفاءة اللغوية المصطلح الذي استخدمه تشومسكي. والحق أن هذه الطريقة أعني طريقة حفظ النصوص صالحة لتنسحب وتطبق على اللغات الأخرى، وهي معمول بها، فكل الأمم تعنى بتدريس نصوص منجزة في مواقف حقيقة في لغاتهم وتطالب المتعلمين بحفظها لغرض تعلم اللغة، وإن كان المتعلم في الواقع لا يقتصر على المتواتر من النصوص يعود لأن فائدة النصوص أوسع؛ وذلك نظراً لما في النصوص من أدبية ورسائل اجتماعية ونصائح تربوية وأهداف أخلاقية ونفسية وجوانب إمتاع. وهو أي حفظ النصوص بالنسبة لطالب اللغة الذي يعيش في مجتمع غير ناطق بالفصحى يشبه عملية السماع الاصطناعية فالناطقون بالفصحى بالسليقة صار وجودهم عزيزاً. "وكلما كثر المحفوظ، والتصرف فيه باستخدامه، وتمثله في المواقف كانت درجة التمكن من اللغة واستخدامها أعمق وأفضل، لأن النصوص تمثل الجانب التطبيقي للغة، وهو أنفع وأحسن لمن أراد أن يطبق العربية استخداماً واستعمالاً." وأضاف ابن خلدون أن: "حصول ملكة اللسان العربي إنما هي بكثرة الحفظ من كلام العرب؛ حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تركيبهم، فينسج هو عليه، وينزل بذلك منزلة من نشأ معهم، وخالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم". ابن خلدون، 2000، ص: 362. ولا بد لنا أن نشير للشمول الذي تحتوي عليه رؤية ابن خلدون في التعليم، فلا ننسى أن نذكر بأنه على المتعلم أن يراعي أيضاً ما سبق وأن أشار إليه ابن خلدون من صفة التدرج والايغال برفق قليلاً قليلاً على حد تعبير ابن خلدون. ابن خلدون، 2000، ص: 343. ومع كثرة الحفظ الذي يسهم في تمثيل اللغة، اهتم ابن خلدون بنوع المحفوظ وركز على نوعيته، فأشار منبها: "قد قدمنا أنه لا بد من كثرة الحفظ، لمن يروم تعلم اللسان العربي، وعلى قدرة جودة المحفوظ وطبقته من جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ" ابن خلدون، 2000، ص: 755.

وإن كان ابن خلدون شجّع على تنويع المحفوظ، فقد ميّز بين الطبقات وأدرك أن للغة مستويات نظمها على هذا النحو: "فمن كان محفوظه من أشعار العرب الإسلاميين؛ شعر حبيب بن أوس الطائي، أو العتابي، أو ابن المعتز، أو ابن هاني، أو الشريف الرضي أو رسائل ابن المقفع أو سهل بن هارون أو ابن الزيات أو البديع أو الصابي؛ تكون ملكته أجود وأعلى مقاماً ورتبة في البلاغة ممن يحفظ أشعار المتأخرين مثل شعر ابن سهل أو ابن النبيه أو ترسل البيساني وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع تكون جودة الاستعمال من بعده". ابن خلدون، 2000، ص: 373.

وقد لاحظ ابن خلدون في مناسبة أخرى ملاحظة مفادها أن الاعتناء بالمتون وحفظها قد يחדش الملكة ويبتعد بها عن الإجادة والتفوق والنبوغ في ميدان الشعر خاصة، فساق لنا هذا الحوار الذي دار بينه وبين صاحبه: "ذاكرت يوماً صاحبنا أبا عبد الله بن الخطيب، وزير الملوك بالأندلس من بني الأحمر، وكان الصدر المقدم في الشعر والكتابة، فقلت له: أجد استصعاباً عليّ في نظم الشعر متى رمته، مع بصري به وحفظي للجيد من الكلام، من القرآن والحديث وفنون من كلام العرب، وإن كان محفوظي قليلاً. وإنما أتيت، والله أعلم بحقيقة الحال، من قبل ما حصل في حفظي من الأشعار العلمية والقوانين التأليفية. فإني حفظت قصيدتي الشاطبي الكبرى والصغرى في القراءات، والرسم واستظهرتهما، وتدارست كتابي ابن الحاجب في الفقه والأصول وجمل الخونجي في المنطق وبعض كتاب التسهيل وكثيراً من قوانين التعليم في المجالس، فامتلاً محفوظي من ذلك، وחדش وجه الملكة التي استدعيت لها بالمشفوظ الجيد من القرآن والحديث وكلام العرب، فعاق القريحة عن بلوغها، فنظر إلي ساعة متعجباً ثم قال: الله أنت، وهل يقول هذا إلا مثلك؟" ابن خلدون، 2000، ص: 373. فهذا ابن خلدون يختم فكرته بملاحظة نفسية، وذلك حين بيّن أثر ما يُحفظ على النفوس وضرب من نفسه مثلاً، وجعل من موافقة صاحبه أبي عبد الله بن الخطيب دليلاً، وهذا يؤكد على أنه كان على وعي بأهمية الجانب النفسي من جهة وأنه يستعمل أسلوباً حجاجياً يحاول به إقناع القارئ بما يراه.

الفهم:

ثاني الأمرين اللذين أولاهما ابن خلدون اهتماماً لطالب اللغة وتعلمها الفهم، وقد وضح الكفويّ في النص الذي بدأنا به ونظّم به مراتب وصول العلم إلى النفس أن الفهم يأتي سادساً في التنظيم بعد: الشعور والإدراك والحفظ والتذكر والذكر. الكفوي، 1998، ص: 67. وعرف الكفويّ الفهم بأنه: "التعلّق غالباً بلفظٍ من مخاطبك" وجعل بعده الفقه" وهو العلم بغيرض المخاطب من خطابه". المصدر السابق، ص: 67. ونستطيع القول - عطفًا على ما قال - : إن الفهم يأتي بعد الحفظ، والحفظ لا بد أنه مسبوق باستماع أو بقراءة، وبالفهم يتمكن الإنسان من استخدام المحفوظ والتصرف فيه، فيجدر بطالب اللغة أن يبدأ في استخدام ما يحفظ كـمعاون، لينشأ كلاماً جديداً، يراعي فيه طريقة أهل اللغة في النظم وأسلوبهم في الحديث، قال ابن خلدون: "ثم يتصرف بعد ذلك الحفظ في التعبير عمّا في ضميره على حسب عباراتهم، وتألّف كلماتهم، وما وعاه وحفظه من أساليبهم، و ترتيب ألفاظهم فتحصل له هذه الملكة بالحفظ والاستعمال ويزاد بكثرتها رسوخاً وقوة، ويحتاج مع ذلك إلى سلامة الطبع والتفهم لمنازع العرب وأساليبهم في التراكيب ومراعاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الأحوال". ابن خلدون، 2000، ص: 361. وهو في

هذا النص يشير إلى الاستعداد الشخصي للأفراد، والملاحظ أن بعض الناس أقدر من بعض في اكتساب اللغات وتمثل الأساليب لسلامة طباعهم وتفتح أذهانهم، تعينهم على ذلك وتدفعهم أغراض وأسباب مختلفة.

وكان ابن خلدون قد خصّ الأديب العربي بدرس مستفيض عنونه بـ (علم الأدب) بيّن فيه أن المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناهجهم، فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة من شعر عال الطبقة وسجع متساو في الإجادة ومسائل من اللغة والنحو مبنوثة أثناء ذلك متفرقة يستقري بها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية. مع ذكر بعض من أيام العرب، يفهم به ما يقع في أشعارهم منها. ابن خلدون، 2000، ص: 357. فقد نبّه ابن خلدون لأهمية الدرس الأدبي والمقاربة الثقافية في اكتساب اللغة، وهو موضوع حظي باهتمام واسع في مجال علم اللغة التطبيقي. وقد صارت المقاربة الثقافية من المقاربات المهمة في مجال تعليم اللغة، ألقت فيها الكتب واخترعت النظريات وطبقت المناهج. وقد نادى أصحابها باستخدام التاريخ، وطرق العيش وأساليب التعامل، وقوانين العمل، والعلاقات الاجتماعية، والأعياد وغيرها كمقاربات تبدأ بالمقارنة بين أدب اللغة لمستهدفة مع لغة المنشأ من أجل تهيئة الأذهان وتحضير النفوس لقبول ثقافة ثانية تحملها اللغة. وتعرف هذه المقاربة عند أكثرهم تحت مصطلح: المقاربة الثقافية (La démarche interculturelle). كما أن ابن خلدون أشار للصناعة النحوية وأهميتها، فهي العلم الذي تعرف به طريقة اشتغال اللغة وعملها على الربط بين أجزاء الكلام وطريقة استخدامها للمجازات أو ظاهرة العدول والتي تكثر عند استخدام اللغة استخداما فنيا هدفه التأثير لا الإخبار - فابن خلدون يشير هنا إلى الجانب الثقافي المعرفي في اللغة، كما يشير إلى دور الأدب التكويني، فللغرب تاريخهم، ولهم طريقة في الكلام ليست لغيرهم، ومواقف من الظواهر والأشياء اختصوا بها يعرفها من عرف جزءا من تاريخهم ووعاين موقفهم من الظواهر والأشياء، و مارس كلامهم، واقترب من بلاغتهم، استماعا وقراءة وحفظا وفهما واستخداما. ولا نبالغ إذا قلنا: إن صدى هذه الأفكار موجود في أعمال تمام حسّان خاصة عندما عالج قضايا العدول في مرحلتي الاستيعاب والاستمتاع؛ وكان تمام حسّان قد وصف مرحلة الاستيعاب بأنها المرحلة التي يتخطى فيها المتعلم العناصر الجزئية ووظائفها إلى فهم أنماط الجمل، والتفريق بين كل نمط منها وبين الآخر. وتمام حسّان: يقصد التفريق بين صيغ التعجب والاستفهام والنفي في قولنا مثلا ما أحسن زيدٌ، وما أحسن زيدًا أ وما أحسنُ زيدٍ؟ فيعرف أن الأول مرفوع، لأنه فاعل، والثاني منصوب على التعجب مما جعله حسنا فهو مفعول به، وبالجر مستقهما عن أي شيء فيه أحسن، فيجاب بعلمه مثلا: أو لا تأكل السمك وتشرب تاريخ الاستلام: 2021/04/18 تاريخ النشر: 2021/06/01

اللبن، برفع ونصب وجزم تشرب. وأكلت السمكة حتى رأسها، بالحركات الثلاث في رأسها. وفي مثل: قالوا سلاما قال سلام: فيعرف أن تقدير الأول سلمنا سلاما وأن تقدير الثاني عليكم سلام. وأما مرحلة الاستمتاع فقد جعله تمام عملية نفسية قوامها التأثير الانفعالي بمضمون النص وطريقة عرضه وبنية أفكاره، وما يتسم به من واقعية. تمام حسن، 1984، ص: 152.

وقد رأى ابن خلدون أن النصوص الأدبية المتنوعة هي الأقدر على إحداث الملكة اللغوية وتقويتها، أما النص القرآني وحده، ولأنه معجز وأن لا أحد يستطيع أن يأتي بمثله فهو حسب رأيه لا ينتج عنه ملكة لغوية. ورأى أن الأصلح في ذلك هو الخلط بين القرآن وبين الأساليب البيانية الأخرى، وضرب أهل الأندلس لذلك مثالا قال: وأما أهل الأندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسه العربية من أول العمر حصول ملكة جيدة صاروا بها أعرف في اللسان العربي. ابن خلدون، 2000، ص: 537.

الاستعمال:

الاستعمال مهم في تطوير اللغة، هذا يصدق على المتكلمين بلغة فطروا عليها، كما يصدق أيضا على من تعلم لسانا آخر غير لسانه. وهو يمثل الجانب العملي التطبيقي لمتعلم اللغة، لهذا يصرح المتخصصون ويعرف المجرّبون أن العيش في مجتمع ناطق باللغة المراد تعلمها يُسهّل مهمة اكتساب اللغة وإجادتها؛ نظرا لما في ذلك من دوافع أو ظروف تقهر المتعلم على الاندماج ومحاولة التفاهم وضروراته في كثير من الأحوال. وبه أي: الاستخدام وبحسب درجته وضرورته واستعداد المتعلم الفطري يطور المتعلم اللغة التي يستخدمها بأن يستعمل الكلمات والصيغ التي حفظها، وهذا الاستخدام هو شخصي ولا ينفك يتطور، وقد لاحظ ابن خلدون هذه الحالة التي رأى أنها تأتي بعد السماع والحفظ، وسماها التصرف، فقال: "ثم يتصرف بعد ذلك عمّا في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم، وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم، فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتهما رسوخا وقوة". ابن خلدون، 2000، ص: 361. من هذا يتضح أن اكتساب اللغة يحتاج هذه الثلاث: السماع، والحفظ، والاستخدام. وأن الاستماع والقراءة والحفظ ومعرفة القواعد لا يؤديان إلى حصول ملكة تامة وما يساعد على اكتمال الملكة هو التطبيق واستخدام اللغة حتى تصير اللغة ملكة، يساعد عليها سلامة طبع وحسن اختيار ومراعاة مقتضيات الأحوال. ابن خلدون، 2000، ص: 361.

ويفرق ابن خلدون بين من يعرف القواعد صناعة ومن يجيد اللغة ملكة، فمن يعرف القواعد ويحفظ النصوص، ثم لا يقوى على إنتاج نص أو كتابة حديث بليغ، فهذا صاحب صناعة وليس صاحب ملكة. وقد قطع ابن خلدون شوطا طويلا

في مقدمته ليشرح هذه الجزئية التي تتعلق بالمعرفة الصناعية وتضعف في التطبيق واستخدام اللغة ساق لها الامثلة والشواهد، ويّين أن حلها كامن في التمرس بالنصوص وحفظ الجيد منها. جاء في المقدمة وهو يقارن بين صناعة الإعراب والملكة: "وقد نجد بعض المهرة في صناعة الإعراب بصيرا بحال هذه الملكة وهو قليل اتفاقي، وأكثر ما يقع للمخاطبين لكتاب سيبويه، فإنه لم يقتصر على قوانين الاعراب فقط بل ملاً كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم، فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة، فتجد العاكف عليه والمحصل له قد حصل على حظ من كلام العرب واندرج في محفوظه في أماكنه ومفاصل حاجته، وتنبه به لشأن الملكة، فاستوفى تعليمها، فكان أبلغ في الإفادة". ابن خلدون، 2000، ص:560. وأكد ابن خلدون أن النقاش في اكتساب المهارات الكلامية مفيد وناجع وأن المناظرة مهمة، واستخدام اللغة يطور الملكة، فقد أشاد بمناهج أهل الأندلس لاهتمامها بالشواهد عند دراسة النحو، وبالمناظرة في مجالس تعليمهم وكان يرى أن المران على التعبير هو أحسن ما تفيد الملكة في اللسان. ابن خلدون، 2000، ص:561. وقال: "إن أيسر طرق هذه الملكة: قوة اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية، فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها"، وقال في أخرى: "إن الملكات اللسانية كلها تكتسب بالصناعة والارتياض". ابن خلدون، 2000، ص:568.

وهكذا نستطيع القول إن ابن خلدون كان واعيا بأهمية استخدام اللغة وتطبيقها والحديث بها مع أهلها، وهو هكذا يكون واعيا للفرق بين التنظير والتطبيق، بين الصناعة والملكة، بين الاكتساب والتعلم وحاول أن يضع حلا للمشاكل التي تواجه طالب اللغة وتمنعه من حصول ملكة البيان كاملة. ودرس ابن خلدون وإن كان ضاربا في القدم، لم يفقد بريقه ولا فائدته ويجدر بنا أن نعرفه ونعرضه؛ ليستفيد به الدارسون؛ وليعرفوا تاريخ الأفكار فيقارنوا بينها وليختاروا عن وعي المنهج الذي يتبعون، والطريقة التي يسلكون للحصول على ملكة لغوية بها يستطيعون التعبير عن مرادهم ببسر وسهولة.

الخاتمة:

ميدان البحث في اللغة وموضوعاتها ميدان حيويّ يتجدد على مرّ العصور، ويشغل موضوع اكتسابها وتعلمها الباحثين في مختلف تخصصاتهم، وهذا يعود لما في اللغة من جوانب تتعلق بشخصية الإنسان ووجوده، وما لها من أهمية في التعرف على الناس والحضارات والانفتاح على الشعوب والثقافات. وعبر تاريخ درسها الطويل، يلاحظ المتأمل أنه قد اقترحت نظريات، ورؤى وفرضيات تتعلق بأصلها، وبطبيعتها، وطريقة عملها، ومناهج اكتسابها، وقد أسهم تاريخ الاستلام: 2021/04/18 تاريخ النشر: 2021/06/01

علماء العربية في هذا المجال بنصيب كبير، وقدموا دراسات مهمة وآراء صائبة جدير بأن ينحني لها المنصفون احتراماً. والبحث في اللغة وعلومها وطريقة اكتسابها ومناهج تعلمها يزداد مع مرور الأيام تطوراً، واقتراح الأفكار ومناقشتها لا ينفك يتجدد، حتى صارت اللغة وطرق تعلمها تدرس في رحاب علوم أخرى، كعلم النفس والاجتماع والفلسفة وغيرها. ولغتنا العربية تظل دائماً في حاجة ماسة إلى توظيف الجديد من المناهج والانخراط وبشكل فاعل في مجال الدراسات اللغوية الحديثة وتوظيف كل ما تثبت التجربة أهميته.

في مجال تعليم اللغات. وهذا البحث الذي نضع خاتمته تناول رؤية من التراث خط معالمها المفكر عبد الرحمن بن خلدون متوفى سنة 808 هجرية الموافق لسنة 1406 ميلادية وهو واحد من أعلام الفكر العربي شهد له بالتفوق وبالسبق في ميادين كثيرة. وهذه الدراسة نأمل أن تسهم ولو بشكل جزئي في توضيح المسائل التي ناقشها والآراء التي صاغها والحلول التي قدمها وأن تكون حافزاً لنا ولغيرنا على كتابة بحوث أكثر عمقا وأكثر شمولية. ونحن نقدم هذا البحث للقارئ المختص نأمل أن يسهم في تتبع تاريخ الأفكار عن اللغة من جهة، ومن جهة أخرى يوضح له طريقة أصحاب التراث في علاج القضايا التربوية واللغوية. وهذه الأفكار التي بنى أسسها ابن خلدون – وإن كانت قديمة – لم تفقد بريقها ولم تغب عنها في رأينا الفائدة، ونحن في إطار بحثنا عن مناهج تسهل من عملية اكتساب الفصحى والإسراع بتحقيقها ملكة نبحت عن آليات جديدة وأفكار مهمة تعيننا على تحقيق هدفنا؛ فكان هذا البحث الذي وضع لنا الأسس والمبادئ التي تسهم في اكتساب اللغات وفق رؤية ابن خلدون التي جعلها في ثلاث مراحل هي: الحفظ، والفهم والاستعمال، كان باعثاً لإنجاز بحث آخر في منهج الدكتور تَمَام حَسَّان. وضحنا خصوصية مقاربتنا، وكان هو الآخر قد صاغ نظرية سماها نظرية العدول وذكر فيها ثلاث مراحل، هي: التعرف والاستيعاب والاستمتاع، ثم عاد وتناول الموضوع في كتابه القيم الفكر اللغوي الجديد، ونحن نسعى من وراء هذه الدراسات لوضع منهج جديد لتعلم اللغة العربية، منهج علمي، شامل يستأنس بما سطره المنظرون ويراعي حالة الطالبين في رسم لهم منهجاً كلياً وطريقاً واضحة بها يستطيعون تعلم العربية وتمثلها من أسهل الطرق وأيسرها.



المراجع:

- ابن جني أبو الفتح: الخصائص، عالم الكتب، تح. محمد علي النجار، المكتبة الشاملة، ب.ت.
- ابن جني أبو الفتح: المنصف شرح لتصريف المازني، تح. محمد عبد القادر عطا الله، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.
- أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: د. يوسف الطويل، دار الفكر، ط 1، 1987.
- احميدة العوني: الأسس المنهجية لتبويب النحو العربي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 2015.
- احميدة العوني: التعليم المفيد عند ابن خلدون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 2015.
- تَمَام حَسَّان: الأصول دراسة ابستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1991.
- تَمَام حَسَّان: الفكر اللغوي الجديد، عالم الكتب، ط 1، 2011.
- تمام حسان: التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها، 1984.
- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، موقع الوراق.
- عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1997.
- الكفوي أبو البقاء أيوب: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998.
- لطيفة إبراهيم النجار: دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتعيدها، دار البشر، الأردن، ط 1، 1992.
- محمد بن الحسن الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط 2، نسخة الشاملة.
- محمد عبد الرؤوف المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت/دمشق، ط 1، 1410.
- مصطفى الشكعة: الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، الدار المصرية اللبنانية، ط 3، 1992.
- Gilles Siouffi, *100 fiches pour comprendre la linguistique*, Paris, 5^e éd., 2018.
- Pierre Martinez, *La didactique des langues étrangères*, Paris, Que sais-je? 7^e éd., 2014.
- Wolfgang Klein, *L'acquisition de langue étrangère*, Paris, A. Colin, 1989.

